إشكالية الأنا والآخر بين الحضارتين الإسلامية والغربية

سامي الكامل محمد بركة

كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية

مقدمة:

اعتمدت الحضارات منذ نشأتها الأولى على الانفتاح الفكري والحوار في نقل أفكارها وثقافتها التي كانت سائدة في المجتمع، لذلك فإنَّ الإنسان لا يمكنه أنْ يحيا دون انفتاح وتفاعل فكري مع الآخر، ومع الحياة وما فيها من تغير وتطور، وتعاون وانسجام، وقد جاء الدين الإسلامي برسالة سماوية ترتقي بالإنسان، وتجعله منفتحاً على الآخر، فالإسلام رسالة خالدة جعلت الإنسان يتفاعل مع الآخر، ويقبل الاختلاف، ويرسِّخ التعاليم الدينية باعتباره خليفة الله في الأرض، وذلك من خلال قوله تعالى:﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [سورة البقرة،الآية30]، فالإسلام يحثنا على التفاعل الفكري والديني والاجتماعي، فالمجتمع يقوم على التَّنوع والاختلاف الحضاري من حيث الخصائص الفكرية والاجتماعية في حدود العقيدة التي لا تتسم بالإكراه، ذلك لأنَّ الله –سبحانه وتعالى– جعل لكل أمة سبيلاً وسنةً، يقول تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [سورة المائدة،الآية،48]، لذا سيتناول هذا الموضوع إشكالية الأنا والآخر من خلال النظرة إلى الحالة الإنسانية في المجتمعات التي تؤكد على ضرورة التفاعل بين الحضارات من جهة، وصراعها من جهة أخرى.

يعد الأنا والآخر مواجهة بين طرفين، بين الأنا الذي يمثِّل الحضارة العربية الإسلامية وما تشتمل عليه من تاريخ وأصالة وأخلاق ودين، والآخر الذي يمثِّل الغرب الأوربي وما يتمتع به من تقدُّم وعلم وتقنية، وأنَّ الجدل

القائم بين الأنا والآخر لا يرجع إلى إشكالية في العلاقة بينهما فحسب، وإنَّما يرجع إلى صورة الأنا والآخر من حيث الشمول والدقة، والسلب والإيجاب، إذ تقوم ثقافة الأنا على الوجدان والعاطفة، وتستند ثقافة الآخر على العلم والإبداع.

لقد تحوَّل الجدل القائم بين الأنا والآخر إلى حوار أوجد نوعاً من التواصل بين الأديان والحضارات الأخرى، وبين الشرق والغرب، ثم بين الشمال والجنوب. بأنْ يمثِّل الانفتاح الحضاري على الآخر محور التقاء بين الشعوب والأمم المختلفة، الأمر الذي أدَّى إلى بدء تفاعل فكري يقوم على التواصل والتعاون والتعايش الحضاري، فالتفاعل الفكري لقاء تاريخي بين الحضارات المختلفة، و بحث عمَّا هو مشترك فيما بينها من جهة، ومحاولة للحفاظ على هويتها الحضارية التي تمثِّل القيم والمعتقدات الإنسانية من جهة أخرى، لذا فقد انفتحت الحضارة الإسلامية وتفاعلت مع العديد من الحضارات الأخرى سواء الحضارة الهندية أو اليونانية أو الفارسية... وغيرها، وقد كان الدين الإسلامي هو الجوهر الرئيسي للفكر الإسلامي في تعامله مع الأديان الأخرى، فقد تفاعل المسلمون مع الحضارة اليونانية، واستفادوا من علومها الفلسفية، وقاموا بتنقيحها، وتعاملوا مع الفكر اليوناني بروح جديدة تنسجم مع أصالة الفكر الإسلامي، فالمسلمون حين ترجموا العلوم من الحضارات الأخرى أرادوا بناء ذاتهم، والاستفادة مما سبقهم؛ لينطلقوا نحو المستقبل عن طريق إقامة المدارس العلمية والفلسفية وفق المبادئ التي تدعو إليها الشريعة الإسلامية السمحة.

وكان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في انفتاح المسلمين على الآخر، وتواصل الفكر الإسلامي مع الحضارات الأخرى، بأنْ أخذ المسلمون ما

ينسجم مع القيم الإسلامية، وتركوا ما يتنافى معها، وإنْ ترتَّبت على ذلك بعض التحـــديات والصراعـــات الفكـــرية والعقائدية التي تأسست على الحـــوار والإقناع، وهذا كان له أثر كبير في نشـــأة الحضارة الإســـلامية التي أثَّرت وتأثَّرت وتمازجت مع الحضارات الأخرى، مع حفاظها على خصوصيتها الحضارية.

إنَّ الثقافة الإسلامية تدعو إلى عدم الانغلاق والتعصُّب، و أنَّ المجتمع الإسلامي يسير على قاعدة هامة في مضمار التواصل مع الآخر، متمثلةً في الاستفادة من الأفكار التي تدعو إلى التقدُّم العلمي شريطة أنْ تتفق هذه الأفكار مع الثقافة الإسلامية؛ لحماية نفسها من الشـــوائب النابعة من النزعـــات المادية والتحلل الأخـــلاقي، وأنَّ عصرنا الحاضر يستلزم التواصل مع الآخر، والحوار أكثر من أي وقت مضى.

يهدف هذا البحث إلى محاولة توضيح العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر، وأثرها في الحوار الفكري بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وذلك من خلال محاولة البحث في التاريخ الإنساني، وطبيعة العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ومعرفة الآثار المترتبة عن التواصل مع الآخر، كما يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم الانفتاح والتواصل مع الآخر في الفكر الإسلامي؟، وما أهمية التواصل الثقافي بين الحضارات في التاريخ الإنساني؟، وما هي طبيعة العلاقة الجدلية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟.

قُسِّم البحث إلى مقدمة، وخمسة مطالب وخاتمة، متبعاً فيه المنهج التاريخي الذي يسعى إلى عرض وجهات النظر المختلفة.

المطلب الأول– مفهوم الأنا والآخر:

يدل مفهوم الأنا على ذات الأفعال المتعمَّدة، أي الأفعال التي تأخذها الشخصية في الحسبان وتتحمَّل مسئوليتها[1].

ويبنى مفهوم الأنا على سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعاً لها، سواء كان هذا الموضوع يعبِّر عن أشياء أو أشخاص آخرين[2]، وأنَّ لفظة (الأنا) تدل على الذات التي تُرَدُّ إليها أفعال الشعور سواء كانت عقلية أم وجدانية، فالأنا دائماً واحد ومطابق لنفسه، ويقابل الغير[3].

وتمثل الأنا مجموعة من القيم والمبادئ العليا التي جاء بها الدين الإسلامي، والتي اعتمد عليها المسلمون في تجربتهم التاريخية، فالأنا تعني القيم المعيارية المتعالية على الزمان والمكان، وإنزالها إلى الواقع المتغير[4]، إذ يرى ابن سينا أنَّ المراد بالأنا النفس، فالإنسان يشير إلى نفسه بقوله أنا، أمَّا الرازي فقد استعمل كلمة أنا بدلاً من أنت، قائلاً: أنا لست بجسم، ورأى أنَّ النفس ليس لها معنى إلا بالإشارة إليها بقولة أنا[5]،هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد (لالاند) يرى أنَّ الأنا تعني الشعور الفردي الواقعي، وتطلق على موجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية[6]، أمَّا (هوتدريتش) فيرى أنَّ الأنا هي جوهر الذات[7]، ولذلك فمفهوم الأنا متعدد المعاني، ويختلف باختلاف الأفكار والآراء الفلسفية والنفسية حوله، وعلى ذلك فإنَّ الأنا هي الذات التي تسيطر على الواقع القائم، وما عداها فهو الآخر.

ويراد بالآخر الغير[8]، كقولنا رجل آخر، ويفهم على أنَّه الكائن البشري الآخر، فالآخر هو ما يكمن خارج عالم ثقافتنا وجماعتنا، فهو اللاذات واللانحن، ووجوده يثير فينا المخاوف والقلق مما يمكن أنْ يفعله بنا، وكذلك إحساس عميق بأنَّنا نحتاج إلى الآخر[9]، فعلى الرغم من أنَّ هناك اتفاق على أنَّ الآخر هو مجاوز لمعنى الأنا، وتنحصر دلالته في المفهوم الشائع في معنى الآخر، أو الذات الفردية، أي هو كل ما ليس أنا سواء كان هذا الآخر ذاتاً فردية أو ذاتاً جماعية، فإنَّ المعنى العام لمفهوم الآخر هو الغير، أي المختلف، فالآخر هو السوي المغاير الذي يقابل الذاتي والمشابه[10]، وهو يقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس[11]، ولهذا فإنَّ المفهوم الفلسفي لمصطلح الآخر: (الغير) يأتي من خلال الطابع الانطولوجي للفلسفة اليونانية، والذي أعطته معنى يقابل الهوهوية (إمَّا أنْ يكون الشيء هو هو، وإمَّا أنْ يكون مخالفاً لذلك)، أمَّا في الفلسفة الحديثة فقد أكد ديكارت (1596ــ1650م) على مفارقة الأنا الفردية الواعية بعيداً عن تدُّخل الآخر في عمليات البحث الانطولوجي، أمَّا هيجل(1770ــ1831م) فتجاوز الشعور السلبي باتجاه الآخر، بينما أصرَّ هوسرل (1859ــ1938م) على ملازمة حضور الآخر في الكوجيتو، وذهب هايدجر (1889ــ1976م) إلى أنَّ الأنا لا يمكن أنْ توجد إلا في إطار علاقتها مع الآخرين، وقد اعتقد سارتر(1905ــ1980م) أنَّ الإنسان لا يكون خيِّراً أو شريراً إلا إذا اعترف له الآخرون بذلك، فلكي أكّون فكرة عن ذاتي لابد أنْ أمر من خلال الآخر، وبالتالي فإنَّ الحديث عن الآخر هو محاولة لاكتشاف الذات وعلاقتها بالآخر

من جميع النواحي، فالعلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة جدلية مستمرة، فقد تكون الأنا على حساب الآخر، أو يلغى الآخر لصالح الأنا، والصراع بين الأنا والآخر صراع طويل، فعادة ما ينظر الأنا إلى ذاته على أنَّها الأفضل، بينما الآخر هو الأسوأ، وهذه النظرة غالباً ما تكون على أساس تعدد الأنا والآخر، في العديد من المجالات المتعلقة بالفلسفة والسياسة والأدب.

وفي نحن خلال طرح هذه الإشكالية في الواقع لا نحاول إخفاء المعاصر خلف قناع الماضي، أو قناع الحاضر الغربي المتقدم؛لأنَّه في الحالتين تستمر الإشكالية، وتتوَّلد معاني تعكس جوهر الإشكالية التاريخية. فالفكر العربي الإسلامي لم يعارض التطورات التي أدخلها الغرب في عالمنا، لأنَّها كانت في نطاق العلم، أمَّا الأفكار التي سعت إلى تشويه الأسس الدينية والأخلاقية للإسلام فقد رفضها رفضاً تاماً، لأنَّها تحاملت على الحضارة العربية الإسلامية، وعلى هذا يمكن النظر إلى إشكالية الأنا والآخر من خلال التطورات التي يجريها الغرب في مجتمعنا على حساب ذاتنا وقيمنا من ناحية، والتَّطور العلمي والإنساني دون الاقتراب من الجانب العقائدي والحضاري من جهة أخرى.

ويعلِّق المفكر برهان غليون (1945ـــ.....) في كتابه: (الوعي الذاتي) على هذه القضية بقوله: "ينبغي أنْ ننطلق إذن من أنفسنا، ومن ثقافتنا مع الاعتراف بمحدوديتهما في سبيل تطويرهما، لا ينبغي أنْ يكون تعلُّقنا بالعصر والحضارة حافزاً إلى تدمير ذاتيتنا... والتضحية بمستقبلنا كجماعة إنسانية مستقلة، وكمدنية متميزة فاعلة ومتجدِّدة في ساحة الصراع التاريخي"[(12)]، فالاعتماد على الذات والانطلاق من ثقافتنا واتخاذها قاعدة

أساسية للتقدُّم والتَّطور الحضاري يقودنا إلى بناء حضارتنا الإنسانية المستقلة والمتميزة عن الغرب.

المطلب الثاني– الأنا الإسلامي والآخر الغربي:

من أهم القضايا التي يعالجها الفكر المعاصر في هذا القرن تلك القضايا التي تدور حول مسائل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع العلاقة بين الأنا والآخر، وقد أصبحت هذه القضايا أكثر ظهوراً بعد انهيار ما كان يعرف سابقاً بالاتحاد السوفييتي، بأن طغت على الساحة الدولية بعض الأفكار الثنائية تحت عنوان: الإسلام والغرب، ولتوضيح هذه الفكرة فإنَّنا بحاجة للنظر إلى علاقة الأنا بالآخر من منظور ما يحتاجه الأنا من الآخر والاستفادة منه بقدر الإمكان، وأخذ ما نحتاجه من الحضارات الأخرى.

إنَّ إنهاء الإشكالية بين الأنا الإسلامي والآخر الغربي يتمثل في مصالحة الذات الحضارية، لأنَّنا لا يمكن أنْ نسقط هيمنة الآخر المعرفية إلا بمصالحة الذات،لأنَّ الهيمنة المعرفية للآخر تستمر باستمرار نموها وديمومتها، وأنَّ الفكر الذي ينظر إلى الآخر شراً مطلقاً لا يؤدي إلا إلى المزيد من هيمنة الآخر المعرفية، ولهذا فإنَّ إهمال الذات لا يؤدي إلى فهم الآخر بشكل دقيق، وإنَّما يؤدي إلى الانبهار به والتقليد الأعمى لكل ما يصدر عنه، وبالتالي تغيب عنا العلاقة الوثيقة بين فهم الذات وفهم الآخر. وعلى ذلك فإذا ضعفت الأنا، وازدادت السيطرة على عقلية الآخر من خلال رؤيته وثقافته، وتداخلت الأفكار التي تقوم على إقصاء الآخر من حيث وجوده وحضارته فإنَّه يقود إلى الصراع الذي يؤدي إلى هدم ثقافة الآخر ومجتمعه[13]، ولهذا فنحن بحاجة ماسة إلى نظرة دقيقة لعلاقة الأنا بالآخر حتى تتم الاستفادة منه، وهذا

لا يتأتى إلا بأخذ الأفكار التي تفيدنا من الحضارات الأخرى كي نتمكَّن من تقوية مجتمعنا في كل المجالات، وتستطيع الأنا تطوير ذاتها، وتشارك في تطوير الآخرين.

ويعد الانفتاح على الآخر في الوقت الحاضر أحد عوامل نجاح المجتمعات، وذلك من خلال اللقاءات المستمرة، أو المؤتمرات أو الندوات والاتصالات، أو الاجتماعات وغيرها مما يؤدي إلى الاستفادة من الآخر وتجاربه وخبراته، وأنَّ من العديد من الصور التي تمثل الانفتاح على الآخر منها:

1- قبول الرأي الآخر ومحاولة فهمه، والاقتراب من الآخر وأرائه التي ترد في الكتب والصحف والمجلات وغيرها، ومناقشتها بغرض استيعاب أفكاره وما ترمي إليه.

2- الترحيب بنشر الرأي الآخر، و عدم وضع العقبات والعراقيل أمامه، والتحقُّق من الأخبار المضللة التي قد تصدر من البعض وتسيء إليه.

3- عدم استخدام السلطة والنفوذ السياسي والاجتماعي لمنع الآخر من التعبير عن أفكاره وآرائه من خلال المناسبات الوطنية والحفلات، أو الخطابات أو ما شابه ذلك، وعلى ذلك علينا بالابتعاد عن حالة التعصُّب، وعدم قبول الآخر، والقضاء على المرض المنتشر في المجتمع، والذي يقوم على الغلو المنتمي لرأي واحد، وعدم قبول بقية الآراء، وهذه أكبر عقبة تواجه مجتمعاتنا، فتكوين علاقة متوازنة بين الأنا والآخر ضمن الظروف الحالية ينبغي أنْ يتم بشكل بعيد عن السياسة؛ نظراً لوجود مشاكل كثيرة حول المصالح السياسية التي تنطلق من المنطق الغربي حول القضاء على مكوِّنات الحضارات التي تنافس الحضارة الغربية، وأنَّ تحكُّم العقلية الغربية في ثقافة

الآخر، ونظرته للقضايا المطروحة هو الذي دفع الغرب عبر مؤسساته المختلفة إلى تحميل المسئولية للآخر سواء كان بالترهيب أو بالترغيب، واستخدام كل الوسائل الممكنة لإقصاء الآخر ثقافةً وحضارةً ووجوداً[14]. عليه فنحن بحاجة إلى تطوير ذاتنا، وواقعنا المعاش، وأنْ نصحح نظرتنا للآخر، ونبتعد عن الفكرة التي ترى أنَّ الأنا الحضارية لابد أنْ تمر عبر تدمير الآخر؛ لأنَّ هذه الفكرة مجانبة للصواب، فالمنظور الصحيح الذي ينبغي أنْ يكون هو أنْ ننظر إلى الآخر باحترام وتقدير، وأنْ نستفيد من كل إنجازات العصر الذي نعيش فيه، وبالتالي ينبغي أنْ ننظر إلى إشكالية الأنا والآخر من خلال عدم اعتبار الآخر هو الشر الذي يجب التخلُّص منه، وأنْ ننظر بواقعية وموضوعية إلى الحضارة المعاصرة، و نؤكد على أنَّ في الوقت الذي لا تعد الأنا خيراً مطلقاً، فإنَّ الآخر لا يعد شراً مطلقاً.

المطلب الثالث– إشكالية فهم الآخر وقبوله:

الأنا هو كل من انضوي معه تحت خانة واحدة، سواء كان من أسرتي، أو ديني، أو مذهبي، أمَّا الآخر فلا هو من أسرتي، أو ديني، أو مذهبي، ولا تربطني به أية علاقة، لذلك فقبول الآخر يعد مسألة ليس لها أي ضرر؛ لأنَّ قبول الآخر كما هو بميزاته وعيوبه سيترتب عليه رد فعل طبيعي لدى الآخر، حيث ستجد لنفسك قبولاً لديه، وعند عدم قبول الآخر فإنَّه يعني الكراهية، وهو أمر مختلف قائم على تصنيف الناس إلى جنس، أو عرق أو لون أو دين[15]. وهنا يمكن أنْ نتساءل من منا اختار عرقه أو لونه أو دينه؟.

ويمكن توضيح قبول الآخر من خلال شكلين أساسيين:

الشكل الأول: قبول الآخر كآخر: أي قبوله بالرغم من آخريته، لأنَّ ديننا الإسلامي الحنيف يحثنا على هذا القبول، ويدعونا إلى محبة الآخرين، والعطف عليهم والتواصل معهم. غير أنَّ مفهومنا هذا للقبول قد يجعلنا ننظر إلى الآخر من قبيل الشهامة والعفو، أو وضعه في ذمتنا أو تحت حمايتنا.

الشكل الثاني: قبول الآخر باعتبار أنَّ الاختلاف بين إيمان وإيمان هو اختلاف محض، لا يشير إلى الصحيح والخاطئ، وإنَّما إلى الاقتناع الشخصي بالدين الذي يؤمن به كل شخص، وأنَّ ما يمكن الوصول إليه عبر الدين هو أنَّ كلاً من الأنا والآخر يستطيع بلوغ غايته عبر دينه، لأنَّ الأديان متشابهة من الناحية الوظيفية. وبالتالي فإنَّ علاقة القبول تكون انضج لإرساء المحبة والتفاهم من خلال المساواة، وهذه هي الثمرة الناضجة للعلاقة بين الأنا والآخر[16]، وعلى ذلك فإنَّ الآخر هو ما ليس أنا، أمَّا قبوله فيعني رعاية حقوقه والحفاظ على حريته وكرامته، وحقه في الاختلاف، وأنَّ قبول الآخر هو أنْ نرعى حقوقه في إطار التَّنوع الإنساني ضمن الوحدة، والوحدة ضمن التَّنوع.

ويعد التَّنوع الثقافي أحد السمات الأساسية للمجتمعات المعاصرة والمتحضِّرة، لذلك فإنَّ الحرية الفكرية تعني الاختيار بين عدد من البدائل والحوار، فالتَّنوع فكرة راسخة في الماضي، ويمكن استعادتها رغم إقصائها، ومن أهم العقبات التي وقفت أمام تطورنا سيادة الرأي الواحد، وغياب الحوار بين مختلف الاتجاهات الثقافية، وعدم قبول التعددية السياسية، فعدم قبول الرأي الآخر يحول دون تقدُّم المجتمع ويهدم شخصيته الفكرية، ويجعله غير

قادر على الإبداع والتجديد، فالمجتمع لن ينهض إلا إذا اعترف بوجود الرأي الآخر، وعمل على أساس التَّنوع والتَّعدد[17].

ويقوم التَّنوع الثقافي والفكري والحضاري على الاعتراف بالآخر، وحقه في الوجود، فلولا وجود الآخر لما حصل تفاعل وتناغم واختلاف، وهذا ما أكَّد عليه القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية، منها ما ورد في قوله تعالى:﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [سورة الكافرون،الآية 6]، وقد اعترف الإسلام بالتَّنوع والتَّعدد، والاختلاف بين الأفكار والأديان والحضارات، والتَّنوع هو سنة إلهية في الكون، يقول تعالى:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [سورة الروم،الآية 22] ويقوم الدين الإسلامي على مبدأ الوسطية في الفكر والسلوك، فهو ضد الغلو في التفاعل مع الآخر،لأنَّ الغلو يقضي على التفاعل مع الآخرين، وأنَّ الوسطية والاعتدال سمة إلهية في الكون، يقول تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [سورة البقرة،الآية143]، فالوسطية هي الميزان والمعيار، فالأمة الإسلامية أمة وسط في التَّصور والاعتقاد، فلا إفراط ولا تفريط، ولا طغيان ولا نقصان، وإنَّما توازن في كل الأمور، فالإسلام دين وسطي ذو أفق، واسع قابل للتجديد في سبيل التَّقدم، ويرفض الجمود والتَّعصُّب، فهو يرسم منهجاً متوازناً للحياة الإنسانية وفق الفطرة الإلهية، ويفسح المجال لكل طرف، ويعطيه حقه بالقسط، يقول تعالى:﴿**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**﴾ [سورة الرحمن،الآيات7،8،9].

إنَّ من معالم الوسطية التَّوسط بين الجفاء والغلو، وبين مطالب الروح والجسد، والدنيا والآخرة، وبالتالي فإنَّ الحوار مع الآخر من المبادئ الرئيسية التي يقوم عليها التَّنوع الفكري والحضاري، لأنَّه يمثِّل الالتقاء حول ما هو مشترك، والتَّقريب بين وجهات النظر المختلفة، والتفاهم حول العديد من النقاط والأهداف المشتركة، الأمر الذي يؤدي إلى الانسجام والتناغم في العديد من الأفكار التي يطرحها طرفا الحوار[18]، ولذلك فإنَّنا حين نحاور الآخر الذي قد نتفق معه أو نختلف، سواء كان في الفكر أو العقيدة أو العلم، فإنَّه علينا الالتزام بأسس الحوار، والتي من أهمها ما يأتي:

أ- أنْ تكون نظرتنا للآخر موضوعية، بحيث لا نتهم الآخر بالخطأ إلا بعد التحقق من ذلك.

ب- أنْ يكون حوارنا مع الآخر بقلب وعقل منفتحين بالرحمة والصدق والشفافية التامة.

ج- أنْ ننطلق من قاعدة لا غالب ولا مغلوب، وأنَّنا لسنا على صواب مطلق، وأنَّ الآخر ليس على خطأ مطلق، ونكون حياديين لندفع الآخر إلى التأمل والفكر.

د- أنْ يكون الحوار في إطار المرونة والشفافية والانفتاح، لا نفرِّط في قناعاتنا ولا نتنازل عن ثوابتنا[19].

فالحوار والتعامل مع الآخر يتطلَّب سعة الصدر، والرجاحة في العقل، والثقة في القدرة على التكيُّف والتفاعل والانفتاح على الآخر، والتعامل معه بأسلوب راقٍ، وقد أصبح الانفتاح على الآخر من الأمور الضرورية، وبخاصة بعد التقدُّم العلمي الهائل ووسائل الإعلام المتطورة التي اقتحمت

الأرض والفضاء، لذلك فإنَّ اعتماد أسلوب الحوار من المسائل الجوهرية المطلوبة لمعالجة الكثير من المشاكل التي يشهدها العالم اليوم، فالأخطار محيطة بالجميع، ولا يمكن تفاديها إلا بانفتاحنا على بعض، وتواصلنا مع الآخر واحترام آرائه ووجهات نظره، وكذلك أنْ يحترمنا الآخر ويحترم آرائنا وثوابتنا الأساسية[20]. فالإسلام دعوة عالمية للناس كافة، وعلى الدعاة أنْ يتواصلوا مع الآخر لتبليغ هــذه الدعــوة، ويوضِّحوا سماحة الإسلام بكل يسر ولين؛ لأنَّ غاية الإسلام العلو بالذات الإنسانية، والتحلِّي بمكارم الأخلاق في التعامل مع الآخر، والبعد عن الخصومة.

ويُعد الانفتاح الفكري لقاء بين الحضارات التي لديها قاسم مشترك في الفكر والثقافة، يؤدي إلى مزج هذه الأفكار وممارستها من خلال الاعتراف بالآخر في الوجود[21]، ولذلك فإنَّ التفاعل الحضاري يعني طبيعة العلاقة بين الحضارات بشكل عام والحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بشكل خاص، فالتفاعل الفكري يشمل التواصل بكل أنواعه سواء كان ثقافي أو سياسي أو اجتماعي أو علمي بين الشعوب والدول والحضارات المختلفة، وبالتالي فإنَّ أهم أهداف الانفتاح بين الحضارات يتمثل في الآتي:

1- السعي إلى معرفة الحقيقة:

إنَّ معرفة الحقيقة من الأسس التي تبنى عليها الحضارات، وتتقدَّم بواسطتها الحياة الإنسانية، وفي غياب الحقيقة ينتشر الظلم والفساد في الأرض، وأنَّ التفاعل الفكري يركِّز على البحث عن الحقيقة من خلال العقل والتأمل والحوار.

2- تحفيز الأفراد على إثراء الفكر ونشر المعرفة:

تقوم الحضارة الإسلامية على التواصل الفكري والحضاري الذي يرسِّخ ثقافة الحوار من خلال التلاقح مع ثقافات الأمم والحضارات التي سبقتها، وانصهار ذلك في بوتقة التفاعل الحضاري، ولذلك أصبحت الحضارة الإسلامية مثالاً للتفاعل الفكري بين الحضارات، وهذا يجعلها تساهم بفعالية في تقدُّمها وتطورها ورقيها، وقد استفاد الغرب من ذلك وحصل على نصيبه من التراث الفلسفي اليوناني في العصور الوسطى[22].

3- تنمية علاقات التواصل بين الأمم والحضارات المختلفة:

إنَّ دعوة الإسلام إلى التفاعل والتمازج الفكري والحضاري، وحثه على الحوار والتسامح مع الآخر، ووجود علاقات صداقة بين الشعوب والأمم يشجَّع على التفاعل مع الآخر من خلال الالتقاء الفكري معه، فالإسلام بدعوته هذه يمثِّل أرقى الأديان في تحقيق مبدأ التسامح الذي يعد أساس التفاعل الفكري والحضاري، فالتفاعل في المفهوم الإسلامي يعبِّر عن عملية تدافع وتحاور يهدف إلى خير الإنسانية جمعاء[23].

4- اكتساب المعرفة والمساهمة في التقدُّم الفكري والحضاري:

أصبحت الدعوة إلى الالتقاء الفكري والتفاعل الحضاري هي السمة التي تميز هذا العصر، لذلك فقد عملت العديد من المؤسسات العلمية والثقافية ومراكز الأبحاث على تبنِّي الدعوة إلى الحوار بين الحضارات، وتقريب وجهات النظر حول العديد من الموضوعات؛ حتى تمكِّن الأفراد من المساهمة في تقدُّم الفكر من خلال تقبلهم الحوار مع الآخر بشكل يخلق جو من التفاهم حول ما هو مشترك، لذلك فقد كان التركيز كبيراً على أهمية

التفاعل الحضاري في خلق جو من التعاون والتعايش بين الثقافات والأفكار والحضارات المختلفة.

5- إبراز القيم التي تساهم في إيجاد منفعة متبادلة بين الحضارات:

إنَّ من أهم الأهداف التي يركِّز عليها التفاعل الفكري بين الأنا والآخر: إبراز الأفكار الجيِّدة، والقيم الأخلاقية النبيلة، والسعي إلى تنظيم الندوات والمؤتمرات والملتقيات الدولية التي ترسِّخ آليات التفاعل الفكري، والبعد عن الانغلاق الذاتي، وعدم السير وراء المظاهر الزائفة للحضارة الغربية التي تفقدنا الخصوصية الحضارية، فالتقاء الحضارات من أهم معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، ولذلك فإنَّ التواصل الفكري بين الحضارات يمثِّل البديل الأفضل لنظرية الصدام الحضاري، لأنَّ التواصل الفكري هو عملية تناغم وتفاهم وانسجام بين الأفكار المشتركة من جهة، وحفاظاً على الخصوصية من جهة أخرى، فهو تفاعل إيجابي يتجه نحو البناء ويستجيب للتحديات التي تعترضه، وبالتالي فإنَّ دعوة الإسلام إلى التفاعل الفكري والحوار الحضاري هي دعوة إلى التعدُّد ومحاربة الهيمنة والسيطرة والتأكيد على أهمية التفاعل الفكري في كل ما هو مشترك وعام[24].

المطلب الرابع- الحوار الحضاري بين الأنا والآخر:

تقوم العلاقة بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات الأخرى على أساسين هما: الحوار والصراع، فالحوار يقوم على التعاون، واللقاءات والانفتاح والتفاعل والتواصل مع الحضارات الأخرى، بحيث تستفيد كل حضارة من الأخرى في مختلف المجالات، وتتميز الحضارة الإسلامية بمنهجها الذي يفرِّق بين ما يتعلق بالحياة العامة، والمعارف والعلوم

التجريبية، وما له علاقة بالدين والعقيدة والأخلاق والحياة الاجتماعية، ولذلك تتبادل المصالح حول ما هو مشترك ونافع، أمَّا ما له علاقة بالخصوصية الحضارية فيكون وفق الحفاظ على الخصوصية والهوية، أمَّا الصراع فهو أحد أشكال التفاعل الرئيسية التي تؤدي إلى تعطيل وسائل اتخاذ القرار، وصعوبة الاختيار بين البدائل، وهو حالة ناتجة عن التعارض بين إرادتين أو أكثر، وبالتالي ثمة تجربتان في تواصل الحضارات مع بعضها البعض:

الأولى: تجربة المجتمع الإسلامي أمام حضارتي الفرس والروم، وقد نهل المجتمع الإسلامي منهما بما يتماشى مع طبيعته، وينسجم معه دون أنْ يصاب بالتبعية الفكرية.

الثانية: تجربة المجتمع الإسلامي في القرن السابع عندما استولى التتار على العالم الإسلامي، وكان التتار يفتقرون إلى الثقافة الحضارية، فتأثروا بالإسلام حتى اعتنقوه، وصاروا من المدافعين عنه[25]. والسؤال الذي يمكن طـــرحه هنا: هل يمكـــن أنْ يؤدي الأخذ والعطاء بين الحضارات إلى تهديد الهوية والأصالة؟، وهل تمثِّل حضارة الآخر غزواً حضارياً يمكن أنْ يهدد أصالة حضارتنا وقيمنا؟.

وللإجابة عن هذا السؤال فإنَّ البعض يرى أنَّ التعامل مع الآخر لا يتم بالاختيار والانتقاء، فإمَّا أنْ نأخذ عن الآخر كل شيء، ونصير مقلِّدين له في كل شيء، أو لا نأخذ منه أي شيء، ونحمي أصالتنا وثقافتنا.

إنَّ استفادتنا من التاريخ تعلمنا أنَّ اقتباس كل شيء من الآخر أمر غير ممكن عملياً، وأنَّه من غير الممكن أنْ يكون مجتمعنا نسخة من مجتمع آخر، وبالتالي فإنَّه من الخطأ القول بأنَّ الاحتكاك والتأثير بين حضارتين واحدة

تعطي، وأخرى تأخذ يكون في اتجاه واحد، حتى أنَّ الحضارات الضعيفة قد أثَّرت في أقوى الحضارات، وتركت فيها بصمات واضحة. وبالتالي فإنَّ تخوَّفنا من زوال الهوية نتيجة التلاقي بالحضارات الأخرى تخوُّف ليس في مكانه الصحيح؛ لأنَّ التلاقي الحضاري يقوم على الأخذ والعطاء، وأنَّ كثيراً ما يسهم في تأكيد الهوية وإبراز الأصالة، ولهذا فإنَّ هويتنا وأصالتنا لا يمكن أنْ تتعرَّض للضياع عند تواصلنا بالآخر، وإذا حدث ذلك فإنَّ هذا يعني أنَّها هوية هشة سهلة الانكسار، ولا تستحق البقاء[26] ، وعلى ذلك فإنَّ لقاء الحضارات سنة إلهية كونية، وأنَّ الخلاف بين الأمم والحضارات أمر فطري وسنة ربانية، فكل أمة لها خصوصيتها ومنظومتها الثقافية والحضارية، وتنفتح هذه الأمم على بعضها البعض من خلال اللقاءات الودية أو الصراعات العدائية، وتجمعها بعض المصالح، وتفرِّق بينها الأحقاد، وفي كل الأحوال فإنَّ الحياة لا تتوقَّف، بل تستمر وتتجدَّد الطاقات الإنسانية، ويتنافس الأفراد فيما بينهم من أجل البقاء[27].

وتشمل الحضارة المجموعات الإنسانية المتميزة عن غيرها بقدرتها على تكوين نظام اجتماعي يجعل الإنسان يتحكَّم في موارده الاقتصادية ونظامه السياسي، وقيمه الأخلاقية وعلومه، وقد تطوَّر مفهوم الحضارة مع الزمن، ولاسيما في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية حيث رأى العلاَّمة ابن خلدون(1332ــ 1406م) أنَّ الحضارة هي نمط من الحياة المستقرة في مجتمعات مختلفة، وأنَّها غاية العمران[28]، وتعبِّر الحضارة عن جملة من المظاهر المعنوية التي يخلِّفها التاريخ وتبقى في المجتمع دليلاً على القدرات

الفكرية المتميزة، وتعبيراً عن روح المجتمع، ولذلك فهي تتعلَّق بالتدخل الإنساني الإيجابي لمواجهة ضرورات الحياة من أجل تحقيق الرغبات الإنسانية، وتحدِّي الظروف التي تعرقل الإرادة الإنسانية، والتغلُّب عليها، ولذلك فإنَّ الإسلام بوصفه دعوة عالمية يدعو الشعوب والحضارات إلى الأخذ بالحوار منهجاً معتمداً، يساعد على إيجاد العديد من السبل التي تؤدي إلى التواصل مع الآخرين، والتفاعل معهم؛ لكي يتحقق التوازن في الحياة الإنسانية، وبالتالي فقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بأهمية الفكر والحوار، ووضَّح ذلك من خلال الآيات العظيمة التي تشتمل على الحوار وترسيخه مبدءاً مهماً في الحياة الإنسانية بصفة عامة، ولذلك فإنَّ الإسلام على الرغم من مواجهته لبعض التحديات الفكرية والعقائدية في البداية إلا أنَّه كان سبَّاقاً دائماً إلى الحوار العقلي والحقيقي مع الحضارات والديانات والاتجاهات المختلفة التي كانت منغلقة على نفسها[29].

وفي الوقت الذي ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية كانت الحضارة الغربية ترزح في ظلمات الجهل، وهذه حقيقة لا تخفى على أحد، وبخاصة الغرب، لكن الحضارة الغربية أصبحت تنظر إلى الحضارة الإسلامية نظرة استعلاء أدَّت فيما بعد إلى رفض الحوار مع الحضارة الإسلامية، ولجوء الغرب إلى القوة كلما سمحت لهم الفرصة، وقد كانت الحروب الصليبية الرمز الحقيقي الذي تفاعلت معه الأطماع الغربية، وأصبح الغرب يستعملون مصطلح الشرق، وهم يقصدون به العالم الإسلامي بالدرجة الأولى، وهم يحاولون إخضاع المسلمين بكل الوسائل المتاحة[30]، ولذلك فإنَّ الصورة التي كوَّنها الغرب عن الحضارة الإسلامية قد ترجع إلى العديد من المنطلقات الفكرية

نتيجة الصراع بين الشرق والغرب، وربما يكون هذا الصراع امتداداً تاريخياً لقيام الحضارة الإسلامية على أنقاض الحضارة الرومانية[31]، وقد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى السؤال التالي هل هناك معياراُ معيَّناً لقياس أفضلية حضارة عن حضارة أخرى؟.

وللإجابة عن هذا السؤال يرى الباحث بأنْ ليس هناك حضارة أفضل من أخرى، أو ثقافة أفضل من أخرى؛ لأنَّ ازدهار أي حضارة أو ثقافة أو انهيارهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى قدرتها على التفاعل مع الحضارات الأخرى، ومدى تأثرها بها و التأثير فيها، فالحضارة الإنسانية بشكل عام هي نتاج لتلاقح وتفاعل الحضارات، لذلك فإنَّ الحضارة الإسلامية منذ نشأتها الأولى تتوق إلى التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذاً وعطاءً تأثيراً وتأثراً.

وبناءً عليه فإنَّ التفاعل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى الفارسية أو الهندية أو المصرية، والحضارة الغربية نتج عنه حضارة إسلامية جديدة أسهمت في نضوجها مكوَّنات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت الدين الإسلامي فيما بعد، فأصبحت الحضارة الإسلامية غنية من خلال التفاعل الفكري و التلاقح الثقافي الذي حدث، وهي بدورها أمدَّت الحضارة الغربية بما تزخر به من علوم وتنوُّع حضاري[32].

يعد التراث الفلسفي الإسلامي من الروافد الهامة التي أغنت الفكر الأوربي بخاصةً، والفكر الإنساني بعامة، فلقد حدث تلاقح في الأفكار بين الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي، بأنْ كان لفلاسفة العرب والإسلام دور فاعل ومؤثِّر في تكوين الفلسفة الأوربية، إذ عرفت أوربا عن طريقهم مؤلفات أرسطو(384ــ 322ق.م) وفلسفة أفلاطون (427ــ347ق.م)

وأفلوطين(205–270م)، وقام المترجمون في كل من صقلية و طليطلة بترجمة العديد من الكتب منها: كتاب (البرهان من منطق أرسطو)، و(التحليلات الثانية)، و(السماع الطبيعي) وغيرها، وبواسطة هذه التراجم عرفت أوربا أرسطو فأثَّر ذلك في الفكر الأوربي، وكذلك ترجمت مؤلفات الفلاسفة العرب إلى اللاتينية مثل (منطق أرسطو)، و(كتاب الشفاء لابن سينا)(980ــ1037م)، و(مقاصد الفلاسفة للغزالي)،(1058ــ 1111م)، و(رسائل الكندي)،(805– 873م)، وبعد تأثر الفكر الأوربي بهذه التراجم بدأت نهضة الفكر الفلسفي الأوربي تظهر في القرن الثالث عشر[33].

ويظهر تأثير الفلاسفة المسلمين بشكل واضح في أفكار القدِّيس توما الأكويني(1225 –1274م) الذي تأثر بأفكار كل من الفارابي(874–950م) وابن سينا في براهين وجود الله، كما تأثر بآراء ابن رشد(1126–1198) في العلاقة بين العقل والنقل، حيث انتشرت الحركة الرشدية في أوربا طوال قرنين من الزمان، وصار لهذه الحركة أنصار منذ ترجمة شرح ابن رشد على مؤلفات أرسطو[34]، وعلى ذلك فإنَّ فلاسفة الإسلام مارسوا التفاعل الفكري والحضاري بين الأمم والحضارات الأخرى من خلال تمازجهم الفكري وانفتاحهم على الحضارات المختلفة، حيث غرفوا من معين المعارف والعلوم، وتعمَّقوا فيها بشكل يعكس مدى تسامحهم مع الحضارات من جهة، وشغفهم إلى تلقِّي العلم والمعرفة من جهة أخرى، فمنذ بداية حركة الترجمة في العصر الأموي والفلاسفة المسلمين يفحصون ويحللون وينقدون كل ما ترجم، فأضافوا إليه ما ينسجم مع الثقافة الإسلامية، وسعوا إلى محاكاة العديد

من الأفكار مثل فكرة المدينة الفاضلة، والحاكم الفيلسوف التي جاء بها افلاطون الذي كان متأثراً بالفكر الشرقي إلى حد كبير، الأمر إلي أدَّى إلى إدخال العناصر الشرقية في الفكر اليوناني، وتأثر الفلاسفة المسلمين بالفكر الإفلاطوني.

المطلب الخامس- نحن والآخر:

أثيرت قضية العلاقة بين الحضارات وخاصة الحضارتين الإسلامية والغربية في أواخر القرن العشرين على يد المفكر الغربي فوكوياما(1952ـــ .....) الذي رأى أنَّه بنهاية الحرب الباردة انتصرت الفكرة الليبرالية، ورأسمالية السوق، وأصبحت هذه الفكرة تمثِّل مشروع عالمي للإنسانية، وذلك لأنَّه لا توجد فكرة تنافسها في العالم، إضافة إلى ذلك اعتقد أنَّ الإسلام وحضارته هو المقاوم الوحيد لهذه الفكرة الرأسمالية، وذلك نتيجة لما يتمتع به الإسلام من أيديولوجية متكاملة، وما يحظى به من جاذبية عالمية[35].

أمَّا هنتجتون(1927-2008) فقد تنبأ بنهاية الحرب الباردة ونهاية الصراع المحتدم بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي، ورأى أنَّ الصراع القائم بين جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، هو تعبير عن الصراع الحضاري بين الإسلام والأرثوذكسية، وتنبأ بالصراع القادم بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية[36]؛ لأنَّ الإسلامـــ كما يرى هو سبب الأزمات في العالم، لأنَّه دخل في صراعات مع الحضارات المجاورة له، لذا فإنَّ التحدِّي الذي يواجه الحضارة الغربية يأتي من الإسلام؛ لأنَّ الحضارة الإسلامية هي الأكثر حركية، والأكثر صحوة ثقافية في العالم الإسلامي، ورفضاً للقيم الغربية، فالصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية يرجع

إلى الاختلاف من حيث مفهوم كل منهما للتنظيم الاجتماعي، وخاصة ما يتعلق بالعلاقة بين السياسة والدين[37].

يقول هنتنجتون: "إنَّ العلاقات بين الإسلام والغرب عاصفةً غالباً، فكلاهما كان (الآخر) بالنسبة للآخر... وصراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية ليس سوى ظاهرة سطحية زائلة إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية"[38].

ويعتقد هنتجتون أنَّ العديد من العوامل التي زادت من الصراع بين الأنا والآخر في أواخر القرن العشرين، وهي كما يلي:

1- ازدياد النمو السكاني الإسلامي الذي أصبح يشكِّل ضغطاً كبيراً على الغرب.

2- الصحوة الإسلامية التي أعطت ثقة متجددة للمسلمين في قدرة حضارتهم وقيمهم المميزة مقارنة بالحضارة الغربية.

3- الجهود الغربية المستمرة في تعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على التفوق العسكري والاقتصادي، والتَّدخل العسكري في العالم الإسلامي أدى إلى استياء الشباب المسلمين.

4- سقوط الشيوعية أزال عدواً مشتركاً بين الغرب والإسلام، وترك كل منهما لكي يصبح الخطر المتصور للآخر.

5- الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في الجانبين إحساساً بهويته الخاصة، واختلافها عن هوية الآخر[39].

مما سبق نصل إلى نتيجة مؤداها أنَّ هنتجتون كمخطط استراتيجي أمريكي يحاول إعادة صنع النظام العالمي وفق النظرة البرجماتية الغربية، وهو لا يهمه سوى النتائج النافعة للاحتكار الرأسمالي الغربي، لذلك فهو يعمل على أنْ تخدم فكرته عن صدام حضارات الأصوليين، وتغذية الفكر الإسلامي المتطرِّف حتى يتخذ ذريعةَ للصدام مع الغرب، كما أثارت هذه الفكرة حماسة الكثير من الناس للانخراط في حروب جديدة بنفس الذرائع والمبررات التي تم استخدامها في الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وعلى ذلك فإنَّ هذه النظرة تمثِّل إثارة إعلامية تهدف إلى إشاعة الخوف في الغرب، وتصوِّر الإسلام بأنَّه الخطر الذي يهدد الحضارة الغربية، وهذا يمثِّل استمراراً لنفس الصورة القديمة التي قدَّمت الإسلام بأنَّه همجياً بربرياً، يزرع الخوف في الغرب، وقد استغل مروجو هذه الفكرة سقوط الماركسية؛ ليصفوا الحضارة الإسلامية بالعدو الوحيد الذي يجب أنْ يستعد الغرب لمحاربته[40].

إنَّ الحضارة الإسلامية تستمد مقوِّماتها الأساسية من الدين الإسلامي الحنيف، وهي تمثل سجلاً حضارياً، وتطوراً للعقل الإنساني على امتداد الحضارات السابقة، وما يميز حضارتنا الإسلامية هو بعدها عن الانغلاق، فهي وليدة القرآن الكريم، قامت على الوحدانية المطلقة في العقيدة، لأنَّ وحدة العقيدة من أهم أسباب التوحيد، ورقي الأمة وتقدُّمها، فالتسامح الديني يعبِّر أصدق تعبير عن السمو الحضاري والرُّقي الإنساني والتعايش مع الآخر، والبعد عن الطائفية والعنصرية[41].

وبناءً على ذلك فإنَّ الحضارة الإسلامية تسير على مضمار التفاعل الفكري والتواصل الثقافي والحضاري، والاستفادة من كل فكر، ومن التقدُّم

العلمي والتكنولوجي، شريطة أنْ يتفق مع ثقافتنا الإسلامية، ويعد ما نقله علماؤنا وفلاسفتنا من مظاهر التراث العلمي في مختلف المجالات إلى البيئة العربية الإسلامية من ثمار التفاعل والتواصل الثقافي والحضاري، ولذلك فإنَّنا ننظر إلى الذين ينادون بصراع الحضارات أو الدين، يحاولون تشويه الدين الإسلامي والسخرية من نبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم– بشيء من الغرابة،لأنَّنا اليوم في أمس الحاجة إلى إقامة حوار حقيقي، وبحاجة إلى بعضنا البعض لنتمكَّن من التعايش السلمي دون حواجز تفرِّق بين الجميع، والابتعاد عن مبدأ تسلُّط القوي على الضعيف، وفرض المواقف بالقوة[42].

وعلى ذلك فإنَّ هناك تواصل حضاري بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية على مرِّ العصور، فالعلاقة بين الحضارتين هي علاقة تفاعل وتداخل وترابط وثيق، مبني على الأخذ والعطاء، أي أنَّ الحضارة الإسلامية أعطت الغرب مقومات أساسية لحضارته، ثم أخذت منه عناصر دفعت به إلى الأمام، ثم عاودت فمنحته عناصر أخرى وهكذا، وحين يكون التفاعل بهذا الشكل فإنَّه من الصعوبة بمكان أنْ نتحدَّث عن حضارة عربية إسلامية خالصة، أو حضارة غربية خالصة، لأنَّ الحضارتين تضما في تكوينهما الداخلي عناصر أساسية من الحضارات الأخرى، ولذلك لابد أنْ نخضع للحوار، ونبتعد عن التعصب الذي يدعو إلى الصراع والصدام بين الحضارات، وبالتالي فقد أصبحت مواجهة إزالة أسباب التوتر مسئولية الجميع، وبخاصة المثقَّفين، لذا ينبغي أنْ يكون المتحاورون على وعي كامل بما يجري لمواجهة الواقع الجديد بحلول جديدة، فالحوار الموضوعي يعني وجود أكثر من حقيقة تتفاعل حول النقاط المشتركة، وتقرِّب بين النقاط

المتباعدة دون أنْ ينقلب ذلك إلى احتواء، أو نوع من محادثة الذات،لأنَّ ذلك لا يؤدي إلى نتيجة، في حين أنَّ الحوار يؤدي إلى استخراج صيغة جديدة من الحقائق المستقلة، ويعالج المشكلات المتقاربة مكانياً، والمشتركة تاريخياً، ويكون نموذجاً نافعاً[43].

وبالتالي فإنَّ المسئولية تقع اليوم على عاتق أساتذة الجامعات والمؤسسات الثقافية المختلفة، ومراكز البحوث والدراسات العلمية في تحقيق أهداف الحوار وتطويره في مجالات البحوث المشتركة والمناهج التعليمية، فالتفاعل يتطلَّب فهماً مشتركاً وحقيقياً لطبيعة الموضوعات المطروحة في هذا العصر، وأنَّ التفاعل يقوم على إدراك العلاقات الراهنة بين الحضارات، الأمر الذي يترتب عليه فهماً أعمق للذات وللآخر، وهكذا فإنَّ التفاهم ينبغي أنْ تكون قاعدته الحوار الفكري البنَّاء، الذي يقود الجميع إلى ما هو أفضل، ويساهم في وضع أسس متينة تؤدي إلى اتفاق الأنا والآخر على المضي قدماً نحو تحقيق مصلحة الجميع.

الخاتمة:

نخلص مما سبق إلى الآتي:

1- يخلق الانفتاح الفكري بين الحضارات نمطاً معيَّناً من الانفتاح التاريخي، تتبلور خلاله القيم الإنسانية بين الحضارات المختلفة، ويساهم في إيجاد الحوار بين الأنا والآخر، والابتعاد عن نقاط الخلاف.

2- لكل ثقافة خصوصيتها وأصالتها ومميزاتها التي تكسبها شخصيتها المستقلة، وبالتالي فإنَّ إيجاد نقاط التَّلاقي بين الحضارات والأديان تخدم المصالح المشتركة على المدى القريب والبعيد في جميع المجالات.

3- تتميَّز الحضارة الإسلامية حضارياً عن الأمم الأخرى،لأنَّها ترى في التعددية والاختلاف بين الشعوب والألسن والألوان والأفكار والشرائع والحضارات سنة من سنن الله في خلقه.

4- التأكيد على التفاعل بين الحضارات في جميع الجوانب، وبالتالي لابد من العمل على العناية بالفضاء الثقافي للحوار بين الحضارات المختلفة، والذي يقوم على تبادل الآراء والزيارات بين العلماء والفلاسفة ورجال الثقافة للتعريف بالحضارات، وخلق الحوار الجاد والحقيقي والعمل على استمراره.

5- الإسلام يدعو إلى نبذ العنف والتعصب الذي يقود إلى الصراع، ويرى أنَّ الحوار هو السبيل الأفضل لتحقيق غايات الدين الإسلامي الحنيف الذي اعتبر مهمة المسلمين هي الحوار مع الآخرين بحكمة، ودون استخدام العنف.

6- الإسلام دين الوسطية والاعتدال، وهذه الوسطية هي التي تؤهله لختم الرسالات السماوية والتَّوجه للإنسانية جمعاء، وهي حجة على الخلق باعتبار أنَّ لها الأفضلية والصلاح والخلود، ولذلك فإنَّ الجوهر الحقيقي للإسلام يقوم على الإيمان الواعي، والعقلانية والتسامح والوسطية، وهذه القيم تتصل بتحديد نظرة المسلم لذاته ولعقيدته وللآخر المختلف عنه عقائدياً، وبالتالي فإنَّ الإسلام يرجو من الآخر السير على المنهج القويم، ولا يرفض مواقف الآخر، فهو ينظر إلى الأمور بموضوعية تتمثَّل في إعلاء كلمة الحق.

7ــ الإيمان بالانفتاح على الآخر الذي يقوم على قوة الذات والثقافة، فكلما وعى الإنسان بذاته وازداد إحساسه بالقضايا الموجودة في عصره، كلما أصبحت ذاته قادرة على مواجهة تحديات العصر.

6- عدم الاكتفاء بتراث الماضي، والوقوف عند هذه المرحلة، بل ينبغي على المسلمين الانفتاح على التيارات العلمية والفكرية والفلسفية بكل ما أوتوا من قوة من خلال معالجة الجفاف الفكري والتصحُّر الثقافي الذي نعاني منه اليوم، وفتح المجال أمام كل التيارات الحديثة والمعاصرة، والعمل على إنارة الفكر وكشف الرؤى للمجتمع للاستفادة من العوامل التي ترتبط بالموروث الثقافي والسياسي والاقتصادي، وبالتالي خلق مجتمع يسوده العقل والتسامح والإيمان، والتأكيد على أنَّ الإسلام ليس ماضياً انقضى وانتهى زمنه، وإنَّما هو الماضي والحاضر والمستقبل، فهو خطاب الله للمكلفين في كل عصر ومصر.

7- من الخطأ النظر إلى إشكالية الأنا والآخر من زاوية الخير والشر، وأنَّ ما نملكه نحن خير، وما يملكونه هم شر، وإنَّما ينبغي أنْ ننظر إلى الأمر من خلال إصلاح واقعنا الراهن الذي لا يمكن أنْ يتم إلا بالأنا والآخر، فلا نستطيع أنْ نبني مجتمع حديث وعصري بعيداً عن إنجازات العصر، ولا يمكن بناء مجتمع دون قيم حضارية ودينية وأخلاقية، وإنجازات علمية، فلكي نتمكَّن من كل هذا لابد من وجود الذات التي نستمد منها القيم الإنسانية التي تركِّز على التكوين النفسي والفكري، ولذلك نحتاج إلى الآخر وعلمه وتطوره واكتشافاته، كما لابد من الاستفادة عن طريق الحوار المشترك بين الأنا والآخر.

هوامش البحث:

1- مصطفى حسيبه،المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، الأردن، ط1، 2009م، ص103.

2- محمد الجابري، الأنا مبدأ السيطرة، شبكة المعلومات الدولية، www.aljabri abed.net .

3- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص13.

4- محفوظ محمد، الإسلام والغرب، حوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1998،1م، ص53.

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982م، ص140.

6- المرجع السابق، ص140.

7- هوتدريتش، دليل أكسفورد للفلسفة،ج1، ترجمة نجيب الحصادي، ص107.

8 ــ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص8.

9- طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010، ص41، 42.

10- عدنان بن ذريل، الفكر الوجودي عبر مصطلحه، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 1985م، ص5.

11- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي،عالم الكتب، بيروت،1979م، ص133.

12ــ برهان غليون، الوعي الذاتي،المؤسسة العربية للدراسات الأردن، 1992م، ص136.

13- محفوظ محمد، مرجع سبق ذكره، ص56.

14- المرجع السابق، ص55.

15- ميلاد حنا، قبول الآخر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص91 ــ 93.

16- أديب صعب، قبول الآخر بين الاسم والجوهر، شبكة المعلومات الدولية، www.maaber.org.

17- علي سحبون، إشكالية التراث والحداثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007م، ص217،218.

18- محيي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م، ص181.

19- حسن شحاتة، الذات والآخر، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2008م، ص136.

20- أحمد الجهيني، محمد مصطفى، الإسلام والآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005م، ص145.

21- موسى إبراهيم، حوار الحضارات، دار الإعلام، الأردن، ط1، 2003م، ص209.

22- كريستوفر دوسن، تكوين أوربا، ترجمة سعيد عاشور، محمد مصطفى، القاهرة، 1967م، ص202.

23- أحمد أمين، يوم الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م، ص180، 181.

24- عبد العزيز عثمان، الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، الرباط، 1991م، ص74.

25- أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، دار القلم، بيروت، 1993 م، ص39.

26- حازم الببلاوي، نحن والغرب، عصر المواجهة أم التلاقي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م، ص46.

27- موسى إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص216، 217.

28- ابن خلدون،المقدمة،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1967م، ص656، 657.

29- عبد الستار إبراهيم، الصحوة الإسلامية وحوار الثقافات والأديان، الضياء للدراسات المعاصرة، www.aldhiaa.com

30- عبد الفتاح أبوريده، الوعي الفكري في الحضارة الإسلامية، منشورات صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ص172 ــ157.

31- عبد الكريم غلاب، في الثقافة الإسلامية،أكاديمية المملكة المغربية، ط1، 1992م، ص146.

32- عبد الرحمن بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،2004م، ص31.

33- المؤتمر الدولي الخامس عشر للفلسفة الإسلامية، تفاعل الحضارات متطلَّب أساسي لتحقيق الأخوَّة الإنسانية، www.ra.qantara.de

34- عبد الرحمن بدوي، مرجع سبق ذكره، ص31.

35- محمد عبد القادر، العولمة ما لها وما عليها،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2005م، ص472.

36- حازم الببلاوي، مرجع سبق ذكره، ص35، 36.
37- محمد بركات، منهج الجدل، دار الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، 1990م، ص473ــ 476.
38- صامويل هنتجتون، صراع الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ط2، نيويورك 1999م، ص338.
39- المصدر السابق، ص 342.
40- كاي حافظ، الإسلام والغرب، ترجمة صلاح إدريس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص6.
41- علي الدفاع، روائع الحضارة العربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض،1991م، ص25.
42- عبد المنعم أبو الفتوح، تعدُّد التنوُّع لا تعدُّ الصراع، المصري اليوم، www.almasryalyoum.com .
43- محي الدين صابر، مرجع سبق ذكره ص167.